شرح منظومة السير الى الله والدار الاخرة

الدرس الثالث

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن أتبع هداه أما بعد:

لا زلنا في التعليق على هذه المنظومة أو القصيدة للشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى .

وكنا قد تكلمنا عن جملة من مقامات التعبد وتكلمنا عن الصبر وكذلك التقوى والذكر والتوبة والمحبة والخوف والرجاء وأن يكون العبد ينظر إلى نفسه بنظرة التقصير بحق الله سبحانه وتعالى والإخلاص وغيرها من المقامات وستأتي أيضًا جملة من مقامات التعبد التي ينبغي للعبد أن يعبد الله عز وجل بها، نقرأ من بداية المنظومة .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم أغفر لنا ولوالدينا ولشيخنا وللحاضرين والمستمعين قال الشيخ عبدالرحمن أبن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في منظومته :

**سعد الذين تجنبوا سُبل الردى ... تيمموا لمنازل الرضوان**

**فهم الذين أخلصوا في مشيهم ... متشرعين بشرعة الإيمان**

**وهم الذين بنوا منازل سيرهم ... بين الرجا والخوف للديان**

**وهم الذين ملا الإله قلوبهم ... بوداده ومـــحبة الرحمان**

**وهم الذين أكثروا من ذكرهِ ... في السر والإعلان والأحيانِ**

**يتقربون إلى المليكِ بفعلهم ... طاعاتهِ والتركِ للعِصيانِ**

**فعل الفرائض والنوافل دأبهم ... مع رؤية التقصير والنقصانِ**

**صبروا والنفوس على المكاره كُلها ... شوقا إلى ما فيه من إحسانِ**

**نزلوا بمنزلة الرضى فهم بها ... قد أصبحوا في جُنة وأَمانِ**

**شكرُوا الذي أولى الخلائقَ فضلهُ ... بالقلب والأقوال والأركانِ**

**صحبوا التوكل في جميع أمورهم ... مع بذلِ جُهد في رضى الرحمانِ**

**عبدذوا الإله على اعتقاد حُضورهِ ... فتبرؤوا في منزل الإحسانِ**

**نصحوا الخليقة في رضى محبوبهم ... بالعلم والإرشاد والإحسانِ**

**صحبوا الخلائق بالجسوم وإنما ... أرواحهم في منزل فوقاني**

**ألا بالله دعوت الخلائق والمشاهد كلها ... خوفا على الإيملن من نقصانِ**

**عزفوا القلوب عن الشواغل كلها ... قد فرغوها من سوى الرحمانِ**

**حركاتهم وهمومهم وعزومهم ... لله، لا للخلق والشيطانِ**

**نعم الرفيق لطالب السُبُل التي ... تُقضي إلى الخيراتِ والإحسانِ**

نعم كنا وقفنا في مقام الرضى، تكلمنا عن مقام الصبر وذكرنا الأدلة الواردة في فضله، وأن على العبد أن يصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى وأن يصبر عن معصية الله عز وجل وأن يصبر على أقدار الله سبحانه وتعالى، ذكرنا مراتب ذلك وأيهم أفضل، وأعظم ما يعين على الصبر، ثم المقام الذي يليه هو مقام الرضى:

**نزلوا بمنزلة الرضى فهم بها قد أصبحوا في جُنة وأَمانِ**

الصبر كما بيّنا سابقًا هو واجب، وأما الرضى فأكثر أهل العلم على أنه مستحب وهو الصواب والذي رجّحه أبن تيمية وأبن القيم وغيرهم، والرضى مقام أكمل من الصبر، مقام الرضى أكمل من مقام الصبر، الله عز وجل أثنى على أهل الإيمان بأنه رضي عنهم ورضوا عنه، (رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) (البينة - الآية ٨) الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأن من جاء بالرضى رضي الله عنه كما قال صلى الله عليه وسلم (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وأن الله إذا أحب قومًا أبتلاهم فمن رضي فله الرضى) هذا محل الشاهد (فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط) الصبر الذي تكلمنا عنه في المقام السابق هو أن الإنسان يتحمل المصيبة لكن لم يستوي عنده حصول مصيبة أو عدم حصولها بل يكره المصيبة مع صبره عليها لكن إيمانه يحميه من السخط فإن أنتقل إلى الرضى الذي هو أعلى من ذلك وهو أن يكون الأمران عنده سواء أصيب أم لم يصب فهو راض عما قدّره الله وقضاه، مسلّم أمره لله، فهذا صبر وزيادة، لذلك مقام الرضى أعلى .

وهناك مقام أعلى أيضًا وهو مقام الشكر والحمد، فإذًا المقامات صبر ثم أعلى منه الرضى ثم أعلى منه الشكر، ودرجة الشكر أن العبد يحمد الله عى كل حال، يحمد الله على المصيبة يعني فوق ما أنه راضٍ والأمر أستوى عنده، حمد الله على البلاء وعرف أثر البلاء وصبره وأجره وعرف أن الأمر أختاره الله عز وجل فيشكره على هذه النعمة، يقول أبن القيم رحمه الله "عبودية العبد لربه في قضاء المصائب الصبر عليها ثم الرضى بها وهو أعلى ثم الشكر عليها وهو أعلى من الرضى" وهذا إنما يتأتى ممن تمكن الحب في قلبه وعلم حسن أختياره له ويعرف لطف الله به، مهما قضى الله عز وجل عليه يعرف أن الله لطيف به ويعرف أن الله محسن عليه حتى بالمصائب، إذا عرف أن الله محسن عليه حتى في المصيبة أنتقل إلى

الرضى ثم أنتقل إلى الشكر، والعبد يصل إلى هذه الدرجة بأمور، العبد يصل إلى درجة الصبر والرضى والشكر بأمور سيأتي كلامنا عن الشكر :

الأول: أن ينظر إلى إختيار الله له وأن ما أختاره الله له خير، أن ينظر أن إختيار الله له كله خير (عجبًا لأمر المؤمن أن أمره كله خير) سواءًا في السراء أو في الضراء .

الأمر الثاني: أن يعلم أن ما أصابه هو سبب لتكفير ذنوبه، (ما زال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله ما عليه خطيئة) اذًا إذا نظر المسلم إلى أنه يلقى الله وليس عليه خطيئة أورثه ذلك الصبر والرضى والشكر، ومما يدفع المسلم إلى هذه المقامات.

الثالث: أن ينظر إلى من هو أشد منه مصيبة فهذا يدعوه إلى الرضى عما قسمه الله له عز وجل لأن الله أبتلى غيره بأعظم منه .

والرابع: أن ينظر إلى ثواب الصبر والرضى، أنظر إلى ثواب الصبر والرضى .

الأمر الخامس: أن هذه المقامات خصوصًا الرضى هو من أعظم أسباب حلاوة الإيمان، من أعظم أسباب حلاوة الإيمان هو الرضى كما قال صلى الله عليه وسلم (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم رسولًا) .

ومن أعظم ثواب الرضى الذي يناله العبد هي رضاه عما أعطاه الله، أن الله يحل عليه رضوانه وهذا أعظم المقامات، أن يعلم العبد أن رضاه عن ربه هو سبب لرضى الله عز وجل عنه، وهذه غاية الإنسان في حياته أن يرضى الله عز وجل عنه، العبادة والصلاة والتوحيد وغيره نفعله لكي يرضى الله عز وجل عنا لذلك في الحديث الذي في الصحيحين أن الله يقول لأهل الجنة (يا أهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول الله لهم سبحانه وتعالى هل رضيتم ؟) وما أعظم هذا المقام ؟ ينادي عباده في الجنة فيقول لهم الملك الغني عنهم وعن أعمالهم هل رضيتم ؟ فيقول أهل الإيمان (وما لنا يا ربنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك) مقام ماذا ؟ الرضى، مقام الرضى رضوا عنه ما أعطاهم الله جل وعلا من النعيم فأورثهم ذلك أعظم من هذا النعيم فيقول الله لهم سبحانه وتعالى بعد أن أثبت رضاهم قال (ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟) وما أفضل من ذلك ؟ (قالوا يا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك ؟ قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم ابدًا)

هذا من أعظم المقامات دوام رضى الله عز وجل عن هذا العبد لأنهم كانوا راضين عن الله سبحانه وتعالى في الدنيا وفي الآخرة .

ثم قال رحمه الله طبعًا قال:

نزلوا بمنزلة الرضى فهم بها: أي بهذا الرضى قد أصبحوا في جنة، والجنة الحماية والدرع أصبحوا في جنة وحماية من السخط ومن التكدر ومن الإعتراض على قضاء الله عز وجل وقدره، هو أمان من الولوج في النار .

**شكرُوا الذي أولى الخلائق فضلهُ بالقلب والأقوال والأركانِ**

وهذا أيضًا مقام أخر وهو من أعلى المقامات وهو مقام الشكر كما بيّنا سابقًا صبر ثم رضى ثم شكر، هذا المقام أعلى من المقامات السابقة لذلك يقول أبن القيم رحمه الله "وهو أعلى المنازل وهو فوق منزلة الرضى وزيادة" فالرضى مندرج في الشكر، الرضى أصلًا مندرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه لأن لا يمكن أن يصل العبد إلى الشكر إلا وهو راض قبل ذلك إلا وهو صابر قبل الرضى، الله عز وجل في كتابه أثنى على أهل الشكر (وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران – الآية ١٤٤)(وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) (آل عمران – الآية ١٤٥) (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبإ – الآية ١٣)، ( وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (المائدة – الآية ٦) ، بل الله عز وجل أثنى على الأنبياء في هذا المقام، فإبراهيم قال عنه الله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ) (النحل – الآية ١٢٠– ١٢١)، وقال عن نوح عليه السلام (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) (الإسراء – الآية ٣) ومما يدل على علو مقام الشاكرين أن الله عز وجل أعطاهم من وصفه وسماهم بإسمه فالله عز وجل سمى نفسه شاكرًا وشكورًا وسمى الشاكرين أيضًا بهذين الأسمين شاكرًا وشكورًا، قال أبن القيم (وحسبك بهذا محبة للشاكرين أن الله أعطاهم بما وصف به نفسه على ما يليق بهذا العبد وتقصيره) .

وأما الشكر فهو أنواع كما بيّنه في البيت قال:

**بالقلب والأقوال والأركانِ**

إذًا أنواع الشكر ثلاث شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بالأركان أو الجوارح، الشكر بالقلب هو الإعتراف بنعم الله والإقرار بها، يقر بقلبه أن كل النعم التي أعطاه الله هي من الله ويعرف أنها بفضل الله (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (النحل – الآية ١٨) والشكر باللسان

هو الثناء على الله وحمده وشكره والتحدث بنعمه، والشكر بالجوارح هو كفها عن المعاصي والإستعانة بهذه النعم على الطاعات، يقول أبن القيم عن الشكر "هو ظهور أثر نعمة الله على لسان العبد ثناءًا وأعترافًا وعلى قلبه شهودًا ومحبَّة وعلى جوارحه إنقيادًا وطاعَة" .

يقول هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءًا وأعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبَّة وعلى جوارحه إنقيادًا وطاعَة وهذا الشكر حقيقته لا يكون إلا بإجتماع هذه الثلاث فإن أختل واحد من هذه الثلاث أختل الشكر لذلك الله سبحانه وتعالى وصف الشاكرين بأنهم كثير أو قليل ؟ قليل، قال (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبإ - الآية ١٣) لماذا ؟ مع أن ما من مسلم إلا ويحمد الله ويشكره لكن لماذا قال إنهم قليل ؟ تدبروا الآية قال (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبإ - الآية ١٣) ولم يقل قولوا آل داود شكرًا قال اعملوا آل داود شكرًا لأن أكثر من يفشل في ركن العمل، أكثر من يفشل في تحقيق الشكر في ركن العمل فلا يؤدي حق النعمة التي أعطاه الله فيصرفها في طاعة الله ويستغلها في البعد عن معصية الله .

يعطيه الله مالا يصرفه في الحرام فهذا لو قال أشكرك ربي وأحمدك ليل نهار ليس من الشاكرين لأنه أختل عنده ركن العمل فكلما قصّر العبد في طاعة الله نقصت عنده مرتبة الشكر وكلما أبتعد عن المعاصي زادت عنده مرتبة الشكر لذلك الله وصفهم بأنهم قليل وما أكثر ما يجحد الناس نعم الله سبحانه وتعالى، وتدبر في ذلك أن الله عز وجل ضرب مثلين في سورة سبأ يبيّن حقيقة الشاكرين وحقيقة الجاحدين الناكرين، حقيقة الشاكرين في داود وسليمان (۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ) (سبإ - الآية ١٠) إلى أن ذكر الله عز وجل سليمان وما أعطاه من النعم ثم بيّن أنهم كانوا من الشاكرين (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا) (سبإ - الآية ١٣) فوصفهم بالشكر هذا مثال على من حقق الشكر بأركانه الثلاث .

ثم ضرب مثال أخر بقوم سبأ حين أنكروا وجحدوا نعمة الله (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) (سبإ - الآية ١٥) طلب منهم الشكر (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)، فأعرضوا فأرسلنا عليهم، عاقبهم لأنهم لم يشكروا، وأيضًا أزدادوا جحودًا وإنكارًا لنعم الله حين قالوا (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) (سبإ - الآية ١٩) بعد أن أعطاهم الله نعمة السهولة في السفر واليسر يتنقلون من قرية إلى قرية بدون

مشقة مع تقارب القرى قالوا (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) جحدوا وعاندوا وأستكبروا (وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (سبإ - الآية ١٩) من أراد أن يعرف الشكر ويتدبر في أمر الشكر فليقرأ هاتين القصتين آيات هاتان القصتان، أيات في تحقيق الشكر ومعرفة الصبر، وكذلك في قصة الثلاثة الذين أعطاهم الله من النعم من بني إسرائيل الأقرع والأبرص والأعمى أعطاهم الله المال وعافاهم مما كانوا فيه من المرض أعطى هذا لونًا حسنًا وهذا جلدًا ولونا حسنًا وهذا شعرًا حسنا وهذا رد إليه بصره وأعطى الأول ناقة عشراء حامل ودعا له بالبركة فأصبح له وادٍ من الإبل ما هو واحد ولا عشرة ولا عشرين ولا مائة وادٍ من الإبل، يعني لو سرقت منها المئات ما يشعر، والثاني أعطاه بلغ عنده بقرة وليدة حتى بارك الله فيها وكان عنده وادٍ من البقر، والثالث غنم وأصبح عنده وادٍ من الغنم فجاء الإبتلاء وهذا مما ينبغي أن ينتبه له وهو أن الإبتلاء بالنعم أعظم من الإبتلاء بالمصائب وهذا مما يغفل عنه الناس كثيرًا لماذا ؟ لأن المصاب يرق قلبه ويرجع إلى الله، يحتاج إلى لجوءه إلى الله فيخضع جناحه ويلتجأ إلى ربه ويدعوا ويسأل ويطلب الفرج أما الذي أنعم الله عليه النعم وأبتلاه بالنعم يزداد غفلّة وبعدًا عن الله عز وجل لكن لا يعلم أنه أيضًا مبتلى (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) (الأنبياء - الآية ٣٥) (وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ) (الأعراف - الآية ١٦٨) الإبتلاء ليس فقط في السيئات والمصائب حتى في النعم يبتليك الله عز وجل وينظر هل تنجح في هذا الإختبار والإبتلاء تكون من الشاكرين أو لست من الشاكرين ؟ ومن أمثلة ذلك هؤلاء الثلاث الآن حلت عليهم مصيبة أم أعطوا نعمًا ؟ بل أزيلت عنهم المصائب وأعطوا فوق ذلك نعمًا فما أنتبهوا أنه إبتلاء وإختبار إلا الثالث فجاء ذلك الملك بنفس صورة الرجل الأول الذي جاء ودعا له حتى يذّكره بنعمة الله وطلب منه ناقة واحدة أعطاك الله وادٍ من الإبل أريد ناقة واحدة أتبلغ بها في سفري يعني لو جاء إلى هذا الوادي وأخذها ما يشعر ولا ينتبه فقال الكلمة التي يقولها الناس كثيرًا الحقوق كثيرة والله عليّ إلتزامات كثيرة يجي واحد فقير يسأل درهم درهمين والله الإلتزامات كثيرة والحقوق كثيرة وهو قادر ومقتدر نفس كلمة هذا الرجل الحقوق كثيرة فأقيمت عليه الحجة أكثر وذكّره هذا الملك ألم تكن معدمًا فأعطاك الله ؟ ألم تكن أقرعًا ؟ ألم تكن أبرصًا فأعطاك الله أزال عنك المرض ؟ بدأ الآن الإنتقال من الإعتذار إلى الجحود والإنكار فقال ورثته كابرًا عن

كابر، هذا المال أصلًا مال آبائي وأجدادي وليس مالي فقال إن كنت كاذبًا فصيّرك الله إلى ما كنت وهو كاذب ولا صادق ؟ كاذب فعاقبه الله وصيّره إلى ما كان، ونفس الشيء أصبح لصاحب البقر الأقرع أو الأبرص فجحد وأنكر فقال إن كنت كاذبًا صيّرك الله إلى ما كنت وجاء الإختبار إلى الثالث الذي هو من الشاكرين صاحب الغنم فطلب منه شاة يتبلغ بها في سفره فقال ألا تنظر إلى هذا الوادي ؟ عنده وادٍ من الغنم قال والله لا أجهدك شيئًا أخذت منه فإن هذا رزق الله رزقني منه، شاكر قال لو أخذت هذا الوادي كله فلا أجهدك ولا أردك لأن هذا كله جاء بفضل الله فإن جحدت فضل الله أزاله الله فقال هذا الملك إنما أبتليتم أختبرتم فرضي الله عنك وسخط عن صاحبيك أبق مالك .

فإذن الشكر وصرفه في الطاعة يثبت النعمة ويرضي الله عز وجل عنك والشكر يا إخوة على درجتين، شكر واجب وشكر مستحب والشكر الواجب هو شكر الفريضة والشكر المستحب والذي من فعله أزداد درجًة عند الله، الشكر الواجب في قضية النظر إلى العمل أن يأتي بالواجبات ويجتنب المحرمات فهذا شكر الله الشكر الواجب، والشكر المستحب أن يزيد على ذلك فعل الطاعات والقربات فهذا شكر مستحب أرتفع به العبد منزلة عند الله عز وجل، وهذا درجة السابقين المقربين وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له لما قام يصلي حتى تتفطر قدماه عليه الصلاة والسلام فيسأل عن ذلك فيقول (أفلا أكون عبدًا شكورًا) فبيّن عليه الصلاة والسلام أن قيام الليل وهو الطاعة وهو العمل هو من شكر الله سبحانه وتعالى .

**صحبوا التوكل في جميع أُمورهم مع بذلِ جُهد في رضى الرحمانِ**

وهذا مقام التوكل وما أعظمه من مقام وهو أعلى مقامات التوحيد، التوكل أعلى مقامات التوحيد لما ينشأ عنه من جميع الأمور الصالحة، جميع الأمور الصالحة من الإيمان والتقوى والإسلام والإيمان وغيرها تنشأ عن التوكل، لذلك الله عز وجل في كتابه قرن بين التوكل والإيمان، وقرن بين التوكل والإسلام، وقرن بين التوكل والتقوى، وقرن بين التوكل والهداية، كل ذلك دليل على أنه أعلى مقامات التوحيد والإيمان والإسلام والطاعة لأن كل أمور الإيمان تنشأ عنه المتوكل على الله عز وجل والتوكل هو الإعتماد والتفويض أعتمد وفوض أمره إلى الله عز وجل (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (المائدة – الآية ٢٣) وهذا دليل على

أن التوكل عبادة لا يجوز صرفها إلا لله، لأنه قدم العامل هنا الجار والمجرور على الأمر فدل على الحصر (وعلى الله فتوكلوا) أي لا تتوكلوا إلا على الله وحده وقرن بين التوكل والإيمان (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)، (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق – الآية ٣) (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) (النساء – الآية ٨١) وذكر من علامات أهل الإيمان (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال – الآية ٢) من أعظم علامات الإيمان التوكل لذلك قال عليه الصلاة والسلام (لو أنكم تتوكلون على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصًا) أي خالية البطون (وتروح بطانًا) تغدوا جائعة وترجع شبعانة والنبي عليه الصلاة والسلام ذكر أن جماع صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب هو التوكل قال (لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون) ثم ذكر ما يجمع هذا وهو (وعلى ربهم يتوكلون) فمن وصل إلى هذا المقام دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، هذا دليل على أنه أعلى مقامات التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب بعض الروايات وهي من البشائر النبوية قال (أن الله زادني مع كل ألف من هؤلاء السبعين ألف) الله زادني مع كل ألف سبعون ألف، هذا فضل الله عز وجل يؤتيه من يشاء، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم ووالدينا منهم، فالتوكل إذًا عبادة، عبادة قلبية كما قال الإمام أحمد رحمه الله قال "التوكل عمل القلب وهو من أعظم عبادات القلب" والتوكل أقسام:

الأول: هو التوكل على الله وهذا العبادة، وهذا لا يجوز صرفه إلا لله عز وجل .

الثاني: التوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالذي يتوكل على الأصنام أو القبور والموتى أو الغائبين، يعتد عليهم ويطلب منهم هذا شرك أكبر .

والنوع الثالث : التوكل في الأسباب الظاهرة يعني أنه سبب شرعي أو سبب دل عليه التجربة والواقع لكنه لما توكل على هذا السبب أنتقل إلى أنه شرك أصغر .

والثالث: هو التوكل الذي بمعنى التوكيل، توكل رجلًا في شأن من الشؤون يقضيه عنك فهذا جائز لكن بدون إعتماد القلب عليه لأنه سبب فإن أعتمد القلب عليه أنتقل إلى الشرك الأصغر بل إعتماده على الله ويعتقد أن هذا من بذل الأسباب لذلك الصحيح من أقوال أهل العلم أنه لا يجوز للرجل أن يقول توكلت على الله ثم عليك لأن التوكل لا يكون إلا على الله

وحده وإنما يقول توكلت على الله وحده وبذلت السبب الفلاني الذي أسال الله عز وجل أن يجعله مثلًا سببًا لقضاء حاجتي أو غير ذلك، وهذا مما تضعف القلوب عنده كثيرًا وهي قضية إعتماد القلب على الأسباب تجد أنه إن بذل سببًا وأنصرف عنه هذا السبب من أمير أو مقدم أو وزير أو صاحب جاه حزن وغضب وأنقبض قلبه هذا دليل على ضعف قلبه في التوكل فالعبد يوجه أمره لله عز وجل يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه وليعلم أنه كلما شعر بحزن في ضياع هذا الأمر فهو دليل على ضعفه يعالج نفسه في قضية القضاء والقدر، ومنه قضية التوكل أن الايمان بالقضاء والقدر والتوكل أمران مقترنان وعلى العكس أيضًا لا يعتقد أن التوكل ينافي فعل الأسباب بل إن فعل الأسباب من تمام التوكل لأن الشرع أمر بفعل الأسباب فالشارع أمرك بفعل السبب مع توكلك على الله أما أن تتوكل على الله بدون فعل السبب فهذا دليل على نقصك في مفهوم التوكل لذلك لما جاء بعض أهل اليمن إلى عمر رضي الله تعالى عنه يمرون على القرى ولا يعملون يسألون الناس هكذا يتعبدون في المساجد ويسألون الناس فقال عمر من أنتم ؟ قالوا نحن المتوكلون قال بل أنتم المتأكلون هذا أكل بهذا الأمر وأدعى أنه توكل، فهذا ليس توكل لأن الله عز وجل قال يأمر أهل الإيمان (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) (النساء – الآية ٧١) سبب ولا ما هو سبب ؟ فعل الأسباب (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) (الأنفال – الآية ٦٠) النبي صلى الله عليه وسلم يقول (أعقلها وتوكل) (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (آل عمران – الآية ١٥٩) وتوكل على الله جمع بين التوكل وفعل الأسباب لذلك قال في البيت نرجع إليه:

**صحبوا التوكل في جميع أُمورهم**

متوكلين على الله .

**مع بذلِ جُهد فى رضى الرحمانِ**

**عبدوا الإله على اعتقاد حُضورهِ** **فتبرؤوا في منزل الإحسانِ**

وهذا أعلى مقامات الدين وهو مقام الإحسان كما تعرفون في حديث جبريل مراتب الدين المرتبة الاولى هي الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان أعلى المراتب ولعلو منزلة الإحسان قرنه الله عز وجل بالإيمان (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) (الكهف – الآية ٣٠) وقرنه بالإسلام (بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) (البقرة – **الآية** ١١٢)

وقرنه بالتقوى (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) **(النحل - الآية ١٢٨)** وذكره مفردًا (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) **(يونس - الآية ٢٦)** والإحسان أعظم تفسير له هو تفسير رسول الله عليه الصلاة والسلام (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فقوله عليه الصلاة والسلام (أن تعبد الله كأنك تراه) هذا يوجب على العبد أمرين، تعبد الله كأنك تراه يوجب على العبد أمرين :

الأول: الخشية والخوف والهيبة من الله، تخشى الله وتخافه وتهابه كأنك تراه .

والأمر الثاني: النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها، بذل الجهد في تحسين العبادة كأنك ترى الله ثم قال (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

أهل العلم ذكروا لهذه الجملة الثانية معنيين، (تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)

القول الأول: من أقوال أهل العلم أن هذه العبارة الثانية، تنبه، أن هذه العبارة الثانية تعليل للأول من أراد أن يعبد الله كأنه يراه فليستعن بعلمه أن الله يراه، يعني يجعل علمه أن الله يراه سبب لتحقيق المقام الأول أنت تريد المقام الأول وهو أن تعبد الله كأنك تراه ما الذي يعينك على الوصول لهذا الإحسان الذي أن تعبد الله كأنك تراه ؟ هو إعتقادك أن الله يراك فذكر الثاني من باب التعليل للأول واضح ؟

القول الثاني: قال إن الإحسان مراتب فمن شق عليه أن يعبد الله كأنه يراه فليعبد الله مع علمه أن الله ينظر إليه يعني يكون الجملة الأولى المقام الأول والجملة الثانية المقام الثاني أما التفسير الأول جعل الجملة الثانية تعليل للمقام الأول .

إذن بإختصار التفسير الأول هو مقام واحد وهو عبادة الله كأنك تراه، ما الذي يعينك على هذا الأمر ها ؟ تعتقد أن الله يراك مقام واحد .

التفسير الثاني : قالوا المقام الأول والأعلى هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن ضعفتَ وشق عليه فتنتقل إلى المقام الثاني وهو أن تعبد الله وتعلم أن الله يراك وهذا مقام أدنى، وهذان المقامان هما ما ذكرهما أهل العلم في مقامات الإحسان .

قالوا الإحسان مقامان:

- مقام المشاهدة .
- ومقام المراقبة .

مقام المشاهدة: وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله بقلبه وتذكره لصفات الله سبحانه وتعالى كأنه يراه هذا مقام المشاهدة قال حتى يصير الغيب كالعيان كأنه يرى الله وهو لا يرى الله لكنه يستشعر صفاته ويتذكرها ويعلمها، الرحمة والرضى والغضب وغيرها من صفات الله عز وجل .

والمقام الثاني مقام ماذا ؟ المراقبة وهو أن يعبد الله وهو يستشعر أن الله يراه وهذا دون المقام الأول وهذان المقامان على أي تفسير ممن ذكرنا الأول أم الثاني ؟ على التفسير الثاني .

إذن يكون المقام الأول أن تعبد الله كأنك تراه، والمقام الثاني فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فإذن نفس الإحسان هو مراتب ودرجات والناس يتفاوتون في مرتبة ومقام الإحسان بحسب ما يتفاوتون في بصائر قلوبهم كما ذكر ذلك أبن القيم رحمه الله، والعبد لا بد أن يعوّد نفسه على قضية أن يعبد الله كأنه يراه، بعض الناس يسأل كيف أصل إلى هذه المرتبة أعبد الله كأنني أراه ؟ كلام للسعدي رحمه في شرحه لهذه المنظومة جميل أيضًا يقول في تعويد النفس على أن يعبد الله بمرتبة الإحسان قال وهذه المنزلة من أعظم المنازل وأجلها ولكنها تحتاج إلى تدريج للنفوس شيئًا فشيئًا تعوّد نفسك ولا يزال العبد يعوّدها نفسه حتى تنجذب إليها ويعتادها فيعيش العبد قرير العين بربه فرحًا مسرورًا بقربه يقول في البيت:

**عبدوا الإله على اعتقاد حُضورهِ**

وهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم (أن تعبد الله كأنك تراه) فلما عبدوا الله على اعتقاد حضوره:

**فتبؤوا في منزل الإحسانِ**

قال بعد ذلك:

| | |
|---|---|
| **نصحوا الخليقة فى رضى محبوبهم** | **بالعلم والإرشاد والإحسانِ** |

وهذا مقام النصيحة، مقام ومنزلة النصيحة، والنصيحة جاء الحث عليها في كتاب الله (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ) (المائدة – الآية ٢) (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) (التوبة – الآية ٧١) وجاء الحث على النصيحة في أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) وهذا يدل على أن كلمة النصيحة مشتملة على كل ما يلزم العبد من الفرائض والبعد عن المحرمات ومن النوافل والبعد عن المكروهات فإذن النصيحة شاملة لكل ما يجب ويستحب

على العبد لذلك النصيحة لله أن تفعل أوامر الله وتجتنب ما حرم الله، أن تؤمن بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وكذلك النصيحة لكتاب الله تعتقد أنه كلام الله ليس بمخلوق وتعمل بأوامره وتنتهي عن ما نهى عنه، وتصدّق خبره كذلك النصيحة لرسول الله والنصيحة لأئمة المسلمين والنصيحة لعامتهم، كل الحقوق الواجبة والواجبات اللازمة لرسول الله ولأئمة المسلمين ولعامة الناس لذلك سمى النصيحة نبينا صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على المؤمن (حق المؤمن على المؤمن) قال ذكر منها (وإذا أستنصحك فأنصحه) وفي حديث جرير قال (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) وأعظم علامات النصح للمسلمين هو أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، من أحب لأخيه ما يحب لنفسه فهذا نصحه غاية النصح، فأنت تحب لنفسك النجاة تسعى في نجاة غيرك تحب لنفسك أن تبتعد عن مهاوي الردى وسبل الهلاك تبذل ذلك لغيرك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذلك عرّف أبن الصلاح وغيره النصيحة قالوا: كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلًا، وكلما أزداد الإنسان نصحًا لغيره وفي هذا المقام الذي هو النصيحة، كلما أرتفع منزلّة عند الله .

يقول الفضيل أبن عياض "ما أدرك عندنا من أدرك" يعني ما بلغوا المنازل "لكثرة الصلاة والصيام وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للأمة" وبيّن الشيخ السعدي رحمه الله هنا أن النصح للخلق، خص النصح هنا للخلق، النصح للخلق هو باوجهٍ كثيرة ذكر منها وجهين، ذكر وجهين للنصح للخلق:

الأول: العلم والإرشاد وهذا نصح بالأقوال، النصح بالإرشاد، تعليم، ترشد تأمر بالمعروف، تنهى عن المنكر، تحذّر من خطأ، تحذّر من بدعة .

والثاني: الإحسان في العمل، وهذا نصح بالأعمال تكون قدوة في الخير، من نصيحتك للخلق أن تكون قدوة لهم في الأخلاق، قدوة في العبادة، قدوة في التعامل، قدوة في جميع الأمور، هذا من نصحك للخلق، وهذا يكون بالإحسان لهم وفعلك للطاعات، لذلك قال المؤلف هنا:

**نصحوا الخليقة فى رضى محبوبهم          بالعلم والإرشاد**

هذا الأول **والإحسانِ** وهذا الثاني فهذا مقام النصيحة قال بعد ذلك :

وهذا يمكن أن يقال له مقام الغربة، حيث أن يكونوا غرباء ومن أوجه كونهم غرباء أنهم يعيشون وإن كانوا في الدنيا قلوبهم وأرواحهم وتفكيرهم وهمومهم كلها متعلقة بالآخرة، فهو جالس في مجلس بين أصحابه وهمه الآخرة وأصحابه همهم الدنيا يكون هنا غريب أم ليس بغريب ؟ غريب، فهو في وحشة في روحه، جسده مع الناس أما روحه ففي وحشة، في تفكير ما يريده الله ويرضاه ويأمر به، يفكر في الآخرة والجنة والنار .

صحبوا الخلائق بالجسوم أما بالأرواح فهم في منزل فوقاني، فهم بين الناس بأجسادهم وأما أرواحهم فهي متعلقة بربهم، يذكرون الله حين يغفل الناس، ويصلون حين ينام الناس، ويصومون حين يفطر الناس، فأرواحهم في شيء وجسومهم في شيء، أمورهم كلها يحيلونها إلى الله عز وجل لذلك يقول السعدي رحمه الله "قلوبهم وأرواحهم أنها تجول حول الحبيب" أي أوامره تجول حول الحبيب، "وتطلب من قربه أعظم نصيب" ، والعبد بهذا حتى لا يكون غريبًا فيضعف في باب الغربة عليه أن يصاحب من يعينه، يصاحب الأجساد والأرواح التي تكون همه الآخرة من أهل الصلاح (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (الزخرف - الآية ٦٧) لأن مخالطة الناس قد تكون نافعة وقد تكون مضرة والأصل ألا يكثر من مخالطة الناس، ولا يمتنع من مخالطة الناس، لأن مخالطة الناس كما قال أبن القيم رحمه الله ثلاثة أنواع:

- من الناس من مخالطته كالغذاء تحتاج إلى الغذاء الذي يقوي البدن ويقوي الروح ويعينك على الطريق، من الناس هكذا من يكون مصاحبته كالغذاء يعينك على طريقك وعلى دربك وعلى سيرك إلى الله .

- ومن الناس من مخالطته كالدواء يعني أنك ما تأخذ منه إلا عند الحاجة، ما تأكل الحبة إلا عند اللزوم، إلا عند المرض .

- ومن الناس من مصاحبته وخلطته كالداء، وهؤلاء الذين مخالطتهم كالسم الزعاف الذي من خالطه هلك، كأهل البدع والأهواء، وأهل الشرور والمعاصي، أهل الغفلة الذين يبعدونك عن ذكر الله سبحانه وتعالى، منهم من مخالطته كالغذاء ومنهم من مخالطته كالدواء ومنهم من مخالطته كالداء قال :

وهذا مقام الرعاية، وهذا تكلم عنه أبن القيم رحمه الله تعالى، خلاصة مقام الرعاية هو العمل، أن تعمل بما تعلم وأن تثبت على هذا العمل، مقام الرعاية يتضمن أمرين:

- العمل .
- والثبات على العمل .

ومن لوازم الثبات على العمل البعد عما يحبط العمل أو يبعدك عنه، أي أنك تراعي ما تعلمه بالعمل به، مثل الإنسان لما يحفظ القرآن إن لم يراعه تفلّت وذهب، فهكذا عمل الإنسان وطاعته يحتاج إلى رعاية .

الله عز وجل يأمرك بأوامر ويطلب منك مراعاتها والعمل بها، الله سبحانه وتعالى لمّا ذكر أهل الكتاب ذكر ابتداعهم رهبانية ما أمرهم بها ألزموا بها أنفسهم لكن مع إلزامهم بها قصّروا في مراعاتها (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) (الحديد – الآية ٢٧) فكيف بمراعاة من ثبت أمره وكان من شرعة الله ليس من البدع والأهواء ؟ لأن الله ذمهم على عدم مراعاتهم لما ألزموا أنفسهم به دون أوامر الله هذا من شريعتهم السابقة فكيف لا يذم من لا يراعي ما أمر الله به ؟ لذلك أبن القيم يبيّن من أوجه المراعاة وأمثلتها قال "هي مراعاة العلم وحفظه بالعمل ومراعاة العمل بالإحسان والإخلاص"، مراعاة العمل بالإحسان والإخلاص وحفظه من المفسدات، إلى أن قال "فالرعاية صيانة وحفظ" الرعاية تستمر على العمل تحفظه، وأيضا تصونه وتثبت عليه فالرعاية صيانة وحفظ، لذلك قيل "العلم والعمل ثلاثة مراتب رواية وهو نقل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودراية وهو فهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو العلم والثالث رعاية وهو العمل" رواية ودراية ورعاية .

## رعوا الخلائق والمشاهد كلها

أي رعوا الله في حقوق الخلق، ورعوا الله في جميع مشاهد العبادات، لأنه بعدم المراعاة وحفظ العمل والثبات عليه يحصل نقص الإيمان، وكلما راعى الإنسان العمل وأجتهد فيه وصانه وحفظه ازداد إيمانه خوفًا على الإيمان من نقصان، هذا بيان عقيدة السلف أن الإيمان يزيد وينقص .

وهذا مقام الزهد، قلوبهم عزفت عن جميع ما يشغلها عن الآخرة وهي فارغة من كل شيء إلا من رضا الرحمن والسعي في رضاه لذلك عرّف شيخ الإسلام أبن تيمية الزهد وهو من أجمل التعريفات كما قال أبن القيم من أصدق أو من أحسن العبارات أحسن ما قيل في الزهد والورع عبارة أبن تيمية:

الزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة .

والورع: هو ترك ما يخاف ضرره في الآخرة .

أبن القيم في المدارج قال: هذا من أجمل العبارات أو احسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعه الزهد هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع هو ترك ما يخاف ضرره في الآخرة، فهم في هذا المقام وهو مقام الزهد بيّن السعدي رحمه الله تعالى أنهم جمعوا بين أمرين في مقام الزهد، جمعوا بين أمرين فرغوا قلوبهم عن الشواغل، والثاني ملؤها بالطاعات، ملؤها بما يرضي الله، فرغوا قلوبهم عن الشواغل وملؤها بماذا ؟ بما يرضي الله سبحانه وتعالى، كما قال الله عز وجل (مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ) (النحل – الآية ٩٦) الدنيا تركوها وعلموا أنها فانية وأقبلت قلوبهم على الآخرة وعلموا أنها الباقية (مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ) والكلام في الزهد بابه طويل، ومن الزهد أنشغال قلوبهم بالطاعة هذا المثال الذي ذكره في البيت حركاتهم وهمومهم ،،،، والشيطان

حركاتهم وهمومهم وعزومهم لمن ؟ لله لا للخلق والشيطان فأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم وإعتقاداتهم كلها لله حتى الهم الذي يهمه إنما يهم بالطاعة والعزم الذي أقترن يعني هم مع نية أكيدة هذا العزم هو لله سبحانه وتعالى، كل هذه لله سبحانه وتعالى، الله من فضله أنه من همّ بحسنة كتبت له حسنة وهذا من أعظم ما يتعجب منه الإنسان في معرفة أو حين يرى هلاك الهالكين لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال (ولا يهلك على الله إلا هالك) لماذا لا يهلك إلا هالك ؟ لأن فرص النجاة كثيرة جدًا، وفرص الهلاك قليلة لكن مع هذا كان الهالكون أكثر أم الناجون ؟ الهالكون (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) (الأنعام – الآية ١١٦) (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف – الآية ١٠٣) (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبإ – الآية ١٣) (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) (هود – الآية ٤٠)

لكن لمّا تنظر إلى النسبة التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من همّ بالحسنة فعملها كتبت له عشر حسنات إلى أضعاف كثيرة هذه النسبة الأولى .

الثانية: هم بحسنة ولم يعملها كتبت حسنة، والفرق بين الأولى والثانية أن الأولى الحسنة مع مضاعفتها، وأما هذه فتكتب له حسنة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها، تركها لله وليس بعدم إستطاعته للوصول إليها لأن من همّ بالسيئة فبذل أسبابها لكنه ما توصل إليها كتبت له سيئة لكنه همّ بالسيئة تذكّر الله فتركها أنقلبت إلى حسنة، ومن همّ بالسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة، ومن تاب من السيئات بعد عملها أنقلبت إلى حسنات، يعني شوف النية مضاعفة مضاعفة مضاعفة تنقلب السيئات إلى حسنات والسيئة تكتب لك واحدة مع هذا الهالكون أكثر لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال (ولا يهلك على الله إلا هالك) لأن فرص النجاة ونسب النجاة كبيرة لكن مع هذا خسر ولكثرة الهلكى من نجا وسلك طريق الصلاح فهذا الذي يحتاج إلى أن تعجب به وتعجب منه، ثبت وصبر، ليس العجب ممن هلك كيف هلك، لأن الهلكى كثر، ولكن العجب ممن نجا كيف نجا، لله لا للخلق ولا للشيطان، لا يريدون من الخلق مدحًا ولا ثناءًا ولا رياءًا ولا سمعةً إنما يريدون وجه الله عز وجل في جميع ما يذرون ويعملون، حركاتهم وسكناتهم كلها لله، ولا يطيعون الشيطان في خطواتهم ولا يسيرون معه فيما يأمرهم به من معصية الله عز وجل فيتحقق فيهم قول الله سبحانه وتعالى (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ) (الأنعام – الآية ١٦٢- ١٦٣) فحياتهم وما فيها وأمورهم وأستعدادهم للدار الآخرة منوط كلها لله عز وجل همهم هو الآخرة هذا هو تحقيق جانب الزهد المقام السابع يبقى معنا البيت الأخير .

**نعم الرفيق لطالب السُبُل التي تُقضي إلى الخيراتِ والإحسانِ**

يقول هنا السعدي رحمه الله تعالى أي أن من سبق ممن ألتزم هذه المقامات وسار عليها هو الذي ينبغي عليك أن تلزمه هو نعم الرفيق لأن بملازمتك له سبب لولوجك في الخيرات والإحسان فالصاحب ساحب والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها أختلف والمرء كما قال عليه الصلاة والسلام المرء بخدنه فلينظر أحدكم من يخالل من يصاحب فالإنسان بقرينه فمن رافق أهل الصراط المستقيم كان منهم وأعانوه في السير إلى الله والدار الآخرة فبيّن في هذا البيت أن من أعظم ما يعينك في السير إلى الله والدار الآخرة

هو أن يكون رفيقك من هؤلاء السعداء فهم الذين يسعد بهم رفيقهم إذا أقتدى بهم لذلك الله عز وجل لما ذكر الصراك المستقيم الذي أمرنا بالتمسك به أرشدنا بأمر يعيننا على السير على الصراط المستقيم فقال أهدنا الصراط المستقيم صراط من ؟ الذين أنعمت عليهم رافق هؤلاء الذين أنعم الله عليهم، مَنْ الذين أنعم الله عليهم ؟ من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، إن كنت تريد أن تنجوا فكن ممن يدخل في قوله تعالى (وحسن أولئك رفيقًا) رافق هؤلاء الذين يسيرون بك إلى الطريق الصحيح والدرب الحسن فلزوم أهل الخير والصلاح والسنة وترك أهل الفساد والبدعة من أعظم ما يعين العبد في سيره إلى الله والدار الآخرة فإن كثيرًا ممن هلك كان سبب هلاكه تساهله في مخالطة أهل الفساد أو أهل البدع أو أهل الكفر فالتساهل في المخالطة والمجالسة والمؤانسة مما يفسد على المرء دينه لذلك أجمع السلف على هجر أهل البدع والبعد عنهم وتركهم ومجانبتهم لماذا ؟ لأنهم يفسدون عليك قلبك بالشبه والشبه خطافة بل حكموا على الرجل بجليسه لعلمهم بأثر الجليس على جليسه، جاء الإمام أحمد للبصرة فسأل عن الربيع أبن صبيح قال ما مذهبه ؟ أو سفيان الثوري قال ما مذهب الربيع أبن صبيح ؟ قالوا السنة، قال من يجالس ؟ قالوا القدرية، قال إذن هو قدري، وذكر أبن بطة رحمه الله تعالى أنه لما ذكر حديث الدجال قال من سمع بالدجال فلينأ عنه، أستنبط منها وجوب الإبتعاد عن أهل الشر والحذر من أهل البدع والإفتتان وأهل الفتنة قال وكثير ممن رأيناه وهذا موجود وشاهد وحاصل كثير ممن رأيناه جالسهم بحجة الإصلاح، أنا أروح مع الحزب الفلاني، أو أجلس مع الحزب الأخر أو الجماعة الفلانية أعرف أنهم عندهم إنحرافات لكن أنا أحاول أن أصلحهم، أعلم أنك ستكون منهم، لأن الجليس لا بد أن يتأثر بجليسه، قال رحمه الله وهذا من قديم "كثير ممن رأيناهم يجالسهم بحجة الإصلاح فإذا هو منهم" تريد تنصح توجه أكتب رد إن واجهته فأنصحه إن عرفت أنه يقبل النصيحة أما أن تجالسه أو تخالطه وتضاحكه وتؤانسه وتسافر معه تقول أنا أريد أن أنصحه أعلم أنك أنت الذي تضل لماذا ؟ لأنه هو أيضًا يجالسك يريد أن ينصحك أيهما يغلب، لذلك السلف رحمهم الله مع قوة علمهم وتمكنهم في السنة تلاميذ الصحابة أيوب السختياني رحمه الله تعالى وأبن سيرين كبار التابعين يأتيهم رجل من أهل البدع ما يعجزون عن الرد عليه، يقول أريد أن أناظرك يقول ولا كلمة يضع أصابعه في أذنيه يقول ولا كلمة

ولا نصف كلمة يقول أقرا عليك القرآن قال ولا تقرأ عليّ آية أخرج فيسأل عن ذلك فيقول وهو من هو في العلم يقول أخاف أن يقرأ عليّ آية فيؤولها على غير تأويلها فتقع في قلبي والقلب ضعيف، وهو من هو في المكانة والعلم ؟ يقول القلب ضعيف، فكيف بحالنا نحن الضعفاء والشبه خطافة، فمن تساهل في النظر في كتب أهل البدع وقراءة كتبهم وسماع محاضراتهم حضور دروسهم بحجة أخذ الحق وترك الباطل نأخذ نتعلم منهم ما نعرفه، أعلم إنك على سبيل هلكة وعلى سبيل إنحراف، وأنت الذي كنت سببًا في إنحرافك لذلك من جميل الآمثلة التي ذكرها أبن القيم رحمه الله تعالى في نونيته لمّا ذكر أقوال أهل البدع ذكر مثال جميل في خطورة مخالطة أهل البدع وأن المخالط حين يهلك كان هلاكه بسبب يديه بكسب يديه وتساهله ما سمع وصايا السلف في البعد عنهم قال فأنظر ترى يعني أنظر ما حكيناه من أقوالهم ترى ما حكينا موجود "فأنظر ترى لكن نرى لك تركها" كتب أهل البدع ما تقول أنا أقرا الكتاب آخذ الحق وأترك الباطل قد تأخذ الباطل وتترك الحق تظنه حقًا ما تعرف ولا تميز بين كل الحق وكل الباطل أسمع معي:

فأنظر ترى لكن نرى لك ... تركها حذرا عليك مصائد الشيطان

فشباكها والله لم يعلق بها ... من ذي جناح قاصر الطيران

إلا رأيت الطير في قفص الردى ... يبكي له نوح على الأغصان

فيظل يخبط طالبًا لخلاصه ... فيضيق عنه فرجة العيدان

والذنب ذنب الطير خلا اطيب ... الثمرات في عالم من الافنان

وأتى تلك المزارع يبتغي ... الحشرات والفضلات والديدان

يا قوم والله العظيم نصيحة ... من مشفق واخ لكم معوان

يقول رحمه الله تعالى حال هذا الذي يأتي إلى كتب أهل البدع ويقرأ ويبحث عن الحق ويترك الباطل حاله حال الطير يأتي يبحث عن الطعام في الأرض بين الفضلات وعند الحشرات وأماكن النجاسات يبحث عن الطعام الذي يؤكل فما يسلم أن يقع في الشبكة فلما يقع في الشبكة هذا الطير يحاول أن يتخلص يتخبط فتضيق عليه فرجة العيدان فيهلك، الذنب ذنب من ؟ الطير خلا أطيب الثمرات التي هي كتب أهل السنة وكتب علماء الملة التي ليس فيها إلا الحق يأخذ منها الحق الصافي والنظيف ليس فيها باطل ليس فيها عقائد ضالة الذنب

ذنب الطير خلا اطيب الثمرات في عالم من الأفنان وأتى إلى تلك المزابل يبتغي الحشرات والفضلات والديدان، ثم قال هذه النصيحة إن وجدت وهذا حال وواقع كثير من الشباب ممن يفتتن بمن يتصدر القنوات ويذرف الدموع ويتكلم بالقصص والحكايات وحتى الأكاذيب والأحاديث الضعيفة فيظن أن الخير في مثل هذا ترك الخير كله في علماء الأمة وجلس إلى هؤلاء المتصدرين في القنوات يسمع منهم، مرة ممكن الحلقة الأولى يقول والله هذا الكلام ما عجبني، الحلقة الثانية ها ما عجبني أشويه، الحلق الثالثة والله يمكن معاه الحق ما ندري، الحلقة الرابعة فإذا أنت مؤيد ومصر معه تؤيده الذنب ذنب من ؟ ذنبك أنت تركت أشرطة ومحاضرات ودروس علماء السنة وطلاب العلم السلفيين وذهبت إلى هؤلاء القصاصين الكذابين ليبحث عن الحق ويترك الباطل هؤلاء يستمرئون حتى الكذب وهذا مشاهد يا إخوة وأنتم تعرفون والأمثلة عندنا وعندكم ممن أستقل عن أهل العلم وتركهم وصدّر نفسه كيف كانت نتيجته ونهايته ؟ الذي لا يزن العلم بالرجوع إلى مصاره الأصلية ويسأل أهل الذكر ويستعين بهم ويتواضع، السلف كانوا يتدافعون الفتيا، ما يعمل برنامج للفتيا، وهو تزبب قبل أن يتحصرم، فتراه من بدايات القصص والحكايات وتفسير أحلام إلى أن ينتقل إلى مفتي ينتقل إلى أن يرد ما ثبت في الصحاح بسبب عقله لا يدخل عقله أو حتى يبدأ يشكك في صحاح السنة بسبب عقله كل هذا بسبب يا إخوة الإبتعاد عن طرق السلف في تلقي العلم والرجوع إلى أهل العلم والإرتباط بأهل العلم أهل السنة السلفيين أما الإرتباط وأخذ العلم من كل حابل ونابل ومن كل متصدر فهذا مصيره الهلاك والضياع وهذا لا شك وهو طريقة السلف وعليه الإجماع من أهل العلم مَنْ مثّل ذلك بمثال أخر مثل رجل يريد أن يشرب الماء، عندك عين ماء صافية نقية تأخذ منها الماء وتشربه بدون تصفية، وعين أخرى يمكن أن يشرب منها الماء لكن فيها كدر وسخ لكنها كبيرة، ممكن أي عين تشرب ؟ العاقل لا يشرب إلا من الصافية والنقية فهي متوفرة وموجودة من رأوه يشرب من الوسخة قالوا أنت في عقلك شيء، فالعين النقية هي كتب أهل السنة وأشرطتهم ومحاضراتهم وهذه إن قلنا أنه يعني قد يؤخذ منها شيء نافع فهي مليئة بالأكدار والأوساخ والضياع والإنحرافات والأكاذيب وغير ذلك ولهذا السلف رحمهم الله تعالى كتبوا الكتب في التحذير من القصاص من قديم القصاص يكذبون لأجل أن يقول أنا أكذب لرسول الله ما أكذب على رسول الله أنا أكذب

لرسول الله أنا أكذب عشان الناس ترجع إلى رسول الله الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار) فالكذب لا يجوز وهؤلاء القصاص لمّا يعتمدون على عقولهم ويعتمدون على آرائهم لا يميزون بين الحق والباطل ولا بين الصحيح والضعيف ولا بين السنة والبدعة، مما يذكر في تراجم القصاصين أن رجلًا قام وتكلم في مسجد يعني بعض أهل العلم ينكرها وبعض أهل العلم يضعّفها لكن تُذكر هذه في التحذير من القصاصين قال قام رجل وحدّث وكان المسجد فيه الإمام أحمد ويحيى أبن معين فقام هذا الرجل وقال حدثني أحمد أبن حنبل ويحيى أبن معين عن فلان عن فلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من قال لا إله إلا الله خلق الله طائرًا له ستمائة جناح وسبح ما أدري كم تسبيحة) حديث يتلوه فدعاه يحيى وأحمد قالوا من حدّثك أو هو حدّث قبل أن يذكر الإمام أحمد ويحيى قالوا من حدّثك بهذا الحديث ؟ قال حدثني يحيى أبن معين وأحمد أبن حنبل قال أنا يحيى وهذا أحمد قال لا يوجد في الدنيا يحيى وأحمد إلا أنتما ؟ ما في الدنيا أحمد أبن حنبل ويحيى أبن معين إلا أنتما ؟ قال دعه هذا جاهل .

فهذا حال القصاصين عقله هو الذي يحكّم الأمور ويرجع إلى هواه إذا كان ضرب بالصحاح أعلى كتاب بعد القرآن صحيح البخاري يشكك فيه فكيف بغيره من الكتب لا شك أن هذا ضلال وإنحراف ومن مهاوي الردى، الشاهد أن السبب في ذلك هو سلوك العلم من غير أبوابه النتيجة بعد ذلك تكون وخيمة على العبد، ينحرف غاية الإنحراف .

**نعم الرفيق لطالب السُبُل التي     تُقضي إلى الخيراتِ والإحسانِ**

بهذا نكون قد أنتهينا من هذه القصيدة نسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لكل خير وسامحونا على التقصير والإطالة ونكرر ونعيد الشكر لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له ثم شكر الله من شكر الناس نشكر ولاة الأمر في هذا البلد المعطاء ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقهم للهدى والخير وأن يجنبهم الشر وأن يعيذنا وإياكم من الأوباء والأمراض والبرص والجذام وغيرها من الآفات وأن يسلمنا وإياكم من كل شر ونشكر مركز رياض الصالحين والقائمين عليه وإدرته والمشايخ وهنا نوصيكم أيضًا يا إخوة بما أنعم الله عليكم بجملة طيبة ونخبة فاضلة من المشايخ من أهل العلم يلقون الدروس عندكم فاألزموهم

وأغتنموا فأنتم في نعمة مما تحتاج إلى شكر ومواضبة وأستفادة ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والإعانة والسداد والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.